أمراض أوروبية معدية

د. أحمد المرايات

الاكتئاب ، النفاس الهوسي الهمودي ، الفصام ، الإدمان الغولي ، الإدمان على المخدرات ، الرهاب الاجتماعي- الفزع ، أمراض الخوف ، العصابات القهرية ، الوسواس ، الأمراض الجسمية النفسية المنشأ ، العنه الشيخي .. أمراض بدأت تؤرق الباحثين الأوروبيين بسبب سعة انتشارها في الدول الأوروبية مقارنة مع المناطق الأخرى! .

وقد نشرت دائرة الدراسات لأمراض الأعصاب ومداواتها تحليلاً في آخر عام 2005م ذكرت فيه أن كل رابع أوروبي (27%) يصاب سنوياً مرة على الأقل بأحد هذه الأمراض المذكورة أعلاه .

وقد أظهرت هذه الدراسة أن أكثر الأمراض شيوعاً من الأمراض المذكورة هي أمراض الخوف والأمراض النفسية الجسمية (Psychosomatik) ، ويتبعها غالباً الإصابة بالاكتئاب أو يكون الاكتئاب مختلطاً بأعراضه مع الخوف والشكاوى الجسمية . وقد بُنيت هذه الدراسة على استطلاعات ضمت 150000 مائة وخمسين ألف مشارك في 27 دراسة جامعية [1] ، والمعروف أن غالبية الأمراض النفسية تمتد جذورها إلى حياة الطفولة وسن المراهقة لما لهاتين المرحلتين من أهمية في بناء الشخصية وتأثير على نموها الصحي أو المرضي .

وقد تبين أيضاً أن نسبة إصابة النساء بأمراض الخوف والقلق والاكتئاب والشكاوى الجسمية العصبية المنشأ أكبر منها بشكل واضح من نسبة إصابة الرجال بهذه الأمراض .

(1) د. فرانك ياكوبي : جامعة دريسدن/ألمانيا – المجلة الطبية الألمانية

في حين أن نسبة إصابة الرجال بالإدمان والفصام أكثر من نسبة إصابة النساء ، وتبين أيضاً أن النساء يصبن بهذه الأمراض بكثرة في سن الإخصاب (أي بين الـ 18 و45) مما له كبير الأثر السلبي على النسل وتربية الأولاد حسب تقديرات الاتحاد الأوروبي فإن تكاليف معالجة الأمراض النفسية والخسارات الناتجة عنها تتراوح بين 3 و 4% من الإنتاج القومي للبلاد وذلك بسبب توقف إنتاجية الفرد أو ضعفها ، وكون هذه الأمراض تُشكل السبب الرئيسي للتقاعد المرضي المبكر للناس في أوروبا .

والأمراض النفسية المتزايدة ، وبخاصة في البلاد الغربية التي ابتعدت عن الدين والقيم ، واتجهت اتجاهاً مادياً واضحاً [2] لها أسبابها الكامنة في زوايا مختلفة منها زاوية فساد التصور الاعتقادي ، وزاوية انعدام المقاييس الثابتة ، وفقدان المرجعية الحيادية ، وسوء استغلال مقولة الحرية أو الحرية الفردية ، والاعتماد على القوانين المادية الوضعية التي تتبدل وتتغير حسب تقلب الأهواء وحسب تصويت المصالح! .. ولا يمكن تجاهل أهمية إعلاء الاهتمامات والأهداف التي لم تعد في الغرب موضع اهتمام ، مما انشغل الناس – في غالبيتهم – في السعي وراء تحصيل المال لصرفه في المجالات الاستهلاكية المتنوعة والمتجددة يومياً .. أو لتسديد الديون المصرفية التي استدينت رغبة في العيش في مستوى أعلى من الإمكانات الذاتية للفرد ولشراء وسائل وحاجات يمكن الاستغناء عنها بكل تأكيد لولا تسهيلات المصارف المورّطة التي تجعل الفرد بعدها يلهث وراء دفع الأقساط المصرفية ..

ثم التأمينات بكل أشكالها بعد أن ترسخت الأنانية والفردية بين الناس وغاب التضامن الأسري والاجتماعي ، فأصبح لا بد من تأمين كل شيء في كل مجال من المجالات خوفاً من المفاجآت أو خوفاً من التعدّي أو الظلم ، وهكذا تكرس جو القلق والخوف في نفوس الأفراد في هذه المجتمعات ..

(2) راجع باب متابعات في هذا العدد من الرائد (256)

والسؤال المطروح بعد هذا العرض المختصر :

هل تريد المجتمعات الشرقية والمجتمعات العربية المسلمة أن تسير على خطى المجتمعات الغربية في هذه المجالات ؟

هل تحتاج المجتمعات الشرقية والمجتمعات المسلمة أن تمرّ بنفس تجارب المجتمعات الغربية حتى تكتشف أخطاء وأخطار ما مرّت به هذه المجتمعات سواء في مجال إطلاق الحريات بدون ضوابط وبالتالي ضياع المعايير والمقاييس والقيم .. أو في مجال العقلية الاستهلاكية والحياة المستهلكة .. أو في مجال التأمينات بأشكالها المختلفة وابتزاز شركات التأمين للناس بأشكال مبطنة ومفضوحة

أو في مجال البنوك والتعاملات البنكية وما ينتج عنها من عبودية حديثة لأسياد مقنعين

أو في مجال تحرير المرأة على الطريقة الغربية وما جرّ هذا على الغرب من فساد خلقي وتفكك أسري وضياع للأولاد واستغلال للمرأة ، أو في مجال العلاقات بين الجنسين خارج الزواج المشروع وما نتج عنه من فساد خلقي وأمراض خطيرة ليس أقلها الندبات والقروح النفسية عند الشباب والشابات ومظاهرها المستقبلية الخطيرة .. ؟

إننا نرى شيئاً من هذه التوجهات الخطيرة في مجتمعاتنا المسلمة ، وفي بلادنا العربية مما يدعو للخوف والقلق .. إنه الخوف من تسير مجتمعاتنا في طرقات ثبت للغرب خطؤها ، وهو يعاني اليوم من أن نتائج هذه الأخطاء ، ويحاول اليوم إيجاد طرق جديدة أو العودة إلى طريقه القديم ؛ طريق التمسك بعقيدته النصرانية .. وهذا ما نراه في كثير من الكتابات الأوروبية التي تنادي اليوم بالعودة إلى الخلق والدين والتمسك بالمعايير والمقاييس والضوابط التي تكفل للناس حياة مستقرة خالية من العقد والأمراض النفسية [3]

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا ... ﴾ [طه : 124]

(3) لا ندعو إلى نبذ كل ما هو غربي ، و لكنها دعوة للانتباه والحذر ، وتنبيه لعواقب بعض التوجهات الغربية الخطيرة على الخلق والنفس والأسرة والمجتمع .